الأخبار
al-akhbar
■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مديرا التحرير: إيلي شلهوب، وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: محمد زبيب، حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأندري، شربل كريم
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق السادس
■ تلفاكس: 01759500 / 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع شركة الأوائل 15ـ666314 / 01 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل
/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnews-paper

«الثورة العربية الكبرى» في مئويّتها: تمرّد خونة

زياد منى

في الثامن من شهر حزيران عام 1916 انطلقت من الحجاز نحو شماليّه، قطعان أعراب، من أكلة القمل من أعشاشه في شعور رؤوسهم، كما صوّرهم فيلم لورانس العرب، الذي يعتز به أحفاد كبير السحرة والعمالة الحسين بن علي، مرجعًا لما تسمى الثورة العربية الكبرى. وبالمناسبة، فإن والدة مليك الديار الأردنية الهاشمية أنطوانيت غاردنر كانت من ضمن فريق العمل، على ما يقال.

المراجع الرسمية العربية ذات الصلة، المختلفة التوجهات السياسية والفكرية، تصور ذلك التمرد على أنه ثورة على ظلم العثمانيين ومحاولاتهم تتريك العرب، وما إلى ذلك. كما يرى آخرون فيه تتويج نهوض قومي عربي ضد الأتراك، لكن عبر خطاب قومجي حماسي يفتقر إلى أي أدلة.

في الواقع إن ما كتب حتى الآن عن ظروف ولادة «الفكر القومي العربي» تفتقر إلى أسس نظرية عن كيفية حدوث ذلك ومكان ذلك ومسبباته، وأسسه الاقتصادية، ولا يتجاوز، في أحسن الأحوال، حديث الأبراج العاجية والصالونات المختلط هواؤها بدخان السجائر وفناجين القهوة السادة وغير ذلك من ملذات حياة البعض. لكننا في حاجة إلى مراجعة وثائق الاستعمارين الفرنسي والبريطاني في تلك العملية.

لنترك هذه المسألة المعقدة، حيث وجب الحديث فيها، علميًا، على نحو منفصل، ونركز أنظارنا على تلك «الثورة» المزعومة، علمًا بأن مقالي هذا يعتمد مراجعًا مجموعة من المؤلفات الحديثة الصدور، سبق لي أن عرضت بعضها في ملحق «كلمات» ضمن «الأخبار»، وفي منابر أخرى.

قلنا: إن المراجع العربية الرسمية، الخاضع محتواها لإملاءات فكرية وحزبية، وأوامر أنظمة ذات علاقة، تقول: إن الملك المؤسس، ثاني كبير السحرة والخيانة والعمالة، عبد الله بن الحسين، ممثلاً لوالده الحسين بن علي، توجه إلى القاهرة للقاء المندوب السامي البريطاني هناك، اللورد كتشنر ومن بعده هنري مكماهون، ليقترح عليه التحالف ضد تركية في الحرب العالمية الثانية مقابل مملكة عربية تضم المناطق الخاضعة للحكم العثماني/التركي في شرق البحر المتوسط، ذكر حدودها في ما تعرف باسم «مراسلات الحسين مكماهون»، علمًا بأن «ملك العرب» هذا، كما يحلو لبعضهم تسميته لم يعدّ أقاليم جنوب المتوسط في شمالي أفريقيا عربية، لذا لم يضمّهم إلى مملكته التي لا تساوي قيمتها نقطة حبر في بيان إعلانها.

يحق للمرء الآن السؤال عن أسباب اتصال الحسين بن علي بالإنكليز، وهل كان يمتلك جيوشًا وقادة عسكريين ومعلومات استخبارية لازمة لمواجهة الجيوش التركية في الحجاز وبلاد الشام، أو «بر الشام» كما كانت المنطقة تعرف؟ إجابتنا التي تعتمد المراجع ذات الصلة، تؤكد أنه لم يملك أياً من تلك المقوّمات الضرورية.

في الوقت الذي تشير فيه المراجع الرسمية إلى الحسين بن علي، بصفة الشريف، أي المتحدر من العائلة النبوية، فليس من المفهوم كيف يقبل هو طرح التمرد على الخلافة الإسلامية بالتعاون والتنسيق مع قوة يُفترض أنها «كافرة عدوة الإسلام»، وفق خطابهم هم وقبول تعيينه هو خليفة المسلمين بدل السلطان العثماني، مع أنه «تواضع» من بعد وقبل لقب ملك العرب!

بريطانيا بدورها واجهت مشكلة كبيرة في الحرب العالمية الأولى، حيث كان عليها محاربة ألمانيا والدولة العثمانية (المسلمة) المتحالفة معها، ما عنى أن انخراطها في حرب ضد الدولة الإسلامية سيعرّض وجودها الاستعماري في الهند [درة التاج الاستعماري البريطاني]، لأخطار حقيقية، وخصوصًا مع وجود أعداد كبيرة من الهنود المسلمين في قواتها، وخشيتها من مشاركتهم في أي ثورة (حقيقية هذه المرة). لذا نجد بريطانيا تحاول العثور على مخرج من أزمتها المستعصية هذه بمحاولة التحالف مع الجناح المؤيد لبريطانيا داخل الدولة العثمانية وتقويته كي تنهي تحالفها مع برلين، وثمة تفاصيل كثيرة عن الموضوع يمكن للبحاثة العثور عليها في المراجع ذات الصلة.

محاولات بريطانيا هذه أخفقت، وخصوصًا بعدما أمر ونستن تشرتشل بغزو قواتها البحرية مضيق البوسفور في نيسان عام 1915، انتهت بكارثة عسكرية لها، والعملية هذه معروفة باسم «معركة غاليبولي»، وبالتركية «تشنكالي سفاسي»، التي انتهت بمقتل نحو ستين ألفا من قوات الحلفاء البريطانيين والفرنسيين والأستراليين والنيوزيلانديين، ونحو نصف مليون مصاب. كما ان مكالبة بريطانيا حلفاءها في الدولة العثمانية بقبول التنازل عن اسطنبول لمصلحة روسيا، وفق اتفاقية سايكس-بيكو، حسمت رفض ذلك الجناح السير مع لنجن وقوى الجناح العثماني الذي فضل التحالف مع برلين.

بريطانية كانت تعمل دومًا على أكثر من اتجاه؛ على سبيل المثال، لندن كانت تتخذ من سياسات الباب العالي القمعية تجاه الأرمن والمسيحيين على نحو عام ذريعة للتدخل أكثر فأكثر في شؤون اسطنبول الداخلية، لكن عندما اندلع انقلاب جمعية الاتحاد والترقي التي فرضت نظامًا عَلمانيًا، وأحلّت المواطنة بدلاً من الانتماء الديني والمذهبي، أصيبت لندن بالحيرة لأن ذلك كان يحقق بعض مطالب الغرب تجاه الباب العالي، لكنه أفقدها في الوقت ذاته أي ذريعة للاستمرار في تدخلاتها تلك.

بالعودة إلى المراجع ذات الصلة، نجد أن معضلة بريطانيا تجاه خوض حرب على دولة إسلامية، أنتج فكرة إثارة تمرد عربي، حيثما أمكن، على الباب العالي، يمنحها غطاءً لخططها الاستعمارية في شرق المتوسط. ولندن كانت تحتفظ بعلاقات وطيدة مع حركة آل سعود والوهابيين التكفيريين، الذين لجأوا إلى الكويت إبان حملات محمد علي وابنيه إبراهيم باشا وطوسون، مع أنه يقال إن الأول كان ابن زوجه. لكننا لن نلتفت هنا إلى علاقات لندن بآل سعود ذلك أن أكثر من مرجع تحدث فيها، وفي مقدم الذين تناولوها الجاسوس البريطاني كم فلبي، بل سنركز على جذور التحالف الأعرابي البريطاني.

ما يهمنا الآن علاقات لندن بالباب العالي في تلك المرحلة التي أُرِّخ لبعض جوانبها في مراسلات كبير مترجمي القنصلية البريطانية في اسطنبول، واسمه جرلد فتسمُريس، وهو إيرلندي كاثوليكي خدم التاج البريطاني عن طيب خاطر، حتى إبان ثورة شعبه على حكم لندن الاستعماري. أما علاقات الود بين لندن باسطنبول، فلم تكن من الأمور الجديدة، وتعود بجذورها إلى القرون الأوروبية الوسطى عندما استعانت ملكة بريطانيا إليزابيث الأولى بالسلطان العثماني مراد الثالث في مواجهة الحصار الاقتصادي الذي فرضه باب الفاتيكان عليها. التحالف استمر قرونًا، لكنه خفت بعض الشيء بعد غزو بريطانيا مصر واحتلالها عام 1882.

فرنسا من جانب آخر احتفظت هي الأخرى بعلاقات جيدة مع الباب العالي، أيضًا منذ تلك العصور، عندما طلب الملك الفرنسي فرنسيس الأول مساعدة القوات العثمانية (المسلمة!/ الكافرة!) إبان حكم السلطان سليمان القانوني في مواجهة خصومه الأوروبيين [المسيحيين] عام 1536. علاقات الدولة «السنية» بمختلف القوى الأوروبية البرُطسطنطية قديمة وعريقة، ذلك أن الهولنديين الذين ثاروا على الحكم الإسباني عام 1570 رفعوا شعار « Liver Turcx dan Paus / الأفضل تركي من أن تكون بابويا [أي تابعًا لبابا الفاتيكان]».

في الواقع قامت تحالفات عدّة بين السلطنة العثمانية المسلمة [السنية] من جهة وقوى أوروبية برُطسطنطية، ضد قوى أوروبية كاثوليكية؛ أما الكاثوليك فقد تحالفوا مع الدولة الشيعية ضد البرُطسطنط!

أما مسألة انطلاق التمرد الأعرابي على الباب العالي، فلم تكن في الأصل فكرة الحسين بن علي، ولا أبنائه، ولا قيادات سورية، بل نتاج توافق أنغلو-فرنسي جرى عبر مراسلات مطولة وكثيرة توجت في نهاية المطاف بمؤتمر عقده الطرفان في فرنسا يومي 30 و31 كانون الأول/ ديسمبر 1915 وحضرته مجموعة من أهل الاختصاص الفرنسيين قادهم م غو (M. Gout) رئيس قسم الأمور الإسلامية في وزارة الخارجية، والبريطاني هنري مكمَهون، وقرروا قيام بريطانيا بحث عملائها في الحجاز على الاستعداد للتمرد العسكري. كما اتصل ممثلوها بخديوي مصر المخلوع، حلمي باشا المقيم في منفاه السويسري، فبارك هذا التحالف الذيلي، ربما طمعًا في استعادة منصبه الشكلي في مصر الخاضعة للاحتلال البريطاني. أما فرنسا، فقد تكفلت بحثّ عملائها في سوريا على التحالف مع أذناب لندن والمشاركة في التمرد المزعوم، وتفاصيل هذه التحركات متوافرة في الوثائق الرسمية ذات الصلة.

لكن كل ما سبق لا ينفي إطلاقًا أن بعض الأفراد السوريين كانوا وطنيين شرفاء، شاركوا في التمرد جهلاً بحقيقة المخطط الاستعماري وعلاقات كبير السحرة وأبنائه الذيلية مع الاستعمار البريطاني. بل نزيد ونقول: أين فيصل بن الحسين بن علي، العميل والكاذب الذي وقّع ما يسمى «صلح باريس»، الذي منح فلسطين للصهاينة، ووقع اتفاقًا آخر مطابقًا مع رئيس المنظمة الصهيونية العالمية حاييم وايزمن، من عميد شهداء بلاد الشام يوسف العظمة! لكن أين الثرى من الثريا؟!

وثائق الاستخبارات البريطانية تؤكد أن قوات الأعراب التي دخلت الحجاز، كانت بقيادة بريطانيا واعتمادًا على المعلومات الاستخبارية التي كانت تجمعها منذ ما قبل الحرب انطلاقًا من مصر والكويت، ومن خلال علماء الآثار والرحالة، رجالاً ونساءً، وغيرهم من الجواسيس الذين

اعتراف محمود عباس في ذكرى اغتيال ياسر عرف

بسام أبو شريف

الخطاب الذي ألقاه رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس، في الذكرى الثانية عشرة لاستشهاد الرئيس ياسر عرفات اغتيالاً، خطاب مليء بالاعترافات التي قد لا يراها البعض كذلك. لكن الذين يعرفون ويتابعون ما جرى خلال ثلاثة عشر عاماً مضت، لا شك يرون بوضوح أهمية الاعتراف بأمور لم تجلب للشعب الفلسطيني سوى الدمار والفقر والألم وغياب العدل وانعدام الديموقراطية وسحق الحريات، في ظل احتلال إسرائيلي دموي عنصري.

فما هي أهم اعترافات محمود عباس؟

الاعتراف المهم، هو أن ياسر عرفات قد اغتيل وأنه يعرف اسم القاتل، والمقصود هنا أنه يعرف اسم العميل الذي كان الأداة في اغتيال عرفات. وهذا الاعتراف يعني أن سنوات حكم "أبو مازن" الطويلة، التي بدأت بنفيه تهمة الاغتيال واستبعادها قبل وبعدما ارتكبت، كانت محاولة لإبعاد التهمة عن أعداء كان لا بدّ أن يُفضحوا ويُحاكموا على ما فعلوه من جريمة نكراء.

فعندما أرسلت إلى الرئيس عرفات رسالة أحذّره فيها من مخطط لاغتياله بالسم (نشرت في كتاب عن ياسر عرفات الصادر عن دار رياض الريس ببيروت)، رفض في اجتماع رسمي ما أرسلته، وقال بالحرف، بحسب ما قال لي ياسر عرفات لاحقاً: "أنا لا أثق ببسام أبو شريف ولا بمعلوماته أو توقعاته".

وعندما مرض الرئيس "أبو عمار"، بذلتُ قُصاراي لأقنع من يلتقي بالإسرائيليين سراً أن يأخذوا الترياق منهم، مثلما أخذ الملك حسين الترياق عندما استخدم الإسرائيليون السم لاغتيال خالد مشعل في عمان. أنقذ الترياق حياة "أبو الوليد"، لكن الذين كانوا يُمسكون بدفة الأمور، لم يفعلوا ولم يقبلوا فرضية الاغتيال بالسم، إلى أن استفحل المرض ولم يعد بالإمكان إنقاذ عرفات. وعندما أُرسل "أبو عمار" إلى باريس، ذهب معه البعض، ولكن البعض الآخر بقي لإجراء واتخاذ ترتيبات الخلافة.

الاعتراف الثاني: فشل كل سياسته السابقة ومراهنته على أميركا وأوروبا، وفشل مراهنته على أن قمع الشعب الفلسطيني ومنعه من النضال سيجعلان إسرائيل تسير قدماً في عملية السلام. اكتشف عباس، الآن، أن كل الرهان كان فاشلاً، لذلك بدأ خطابه وأنهاه بتأكيد الثوابت الوطنية التي صار رئيس حكومة العدو بنيامين نتنياهو يراها غير قائمة. وسمح نهج "أبو مازن" لإسرائيل بأن تتمادى توسعاً وقتلاً ومحاصرة، ما شجع إسرائيل ودول عربية على إقامة علاقات تتخطى الحقوق الفلسطينية وقضية فلسطين. فقد تحوّل نتنياهو في ظل سياسة أبو مازن إلى شخص مقرّب من السعودية ودول الخليج أكثر من أبو مازن، ودون إعارة تلك الدول الحق الفلسطيني أي اهتمام.

واعترف أبو مازن بأن سياسته ونهجه قادا إلى وضع أضعف فيه السلطة، ورجّح كفة إسرائيل إلى حدّ أنه لم يعد يملك القدرة على فعل شيء (كما يظن ويقول)، سوى التمني بعقد مؤتمر باريس الدولي (الذي رفضت إسرائيل حضوره)، وطلب مساعدة مجلس الأمن الذي يعرف أبو مازن سلفاً أن لإسرائيل فيه حلفاء يستخدمون الفيتو لخدمتها. إن خطاب محمود عباس هو خطاب الاعتراف بالإفلاس التام.

بطبيعة الحال، لم يشر "أبو مازن" إلى